

تفسير البحر المحيط

@ 489 عيسى على قراءة هوان على وزن فعال . وقرأت فرقة : أيمسكه بضمير التذكير ، أم يدسها بضمير التأنيث . وقرأت فرقة : على هون بفتح الهاء . وقرأ الأعمش : على سوء ، وهي عندي تفسير لا قراءة ، لمخالفتها السواد المجمع عليه . ومعنى الإمساك حبسه وتربيته ، والهون الهوان كما قال : { عَذَابَ الْهَوْنِ } والهون بالفتح الرفق واللين ، { يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً } وفي قوله : على هون قولان : أحدهما : أنه حال من الفاعل ، وهو مروى عن ابن عباس . قال ابن عباس : إنه صفة للأب ، والمعنى : أيمسكها مع رضاه بهوان نفسه ، وعلى رغم أنفه ؟ وقيل : حال من المفعول أي : أيمسكها مهانة ذليلة ، والظاهر من قوله : أم يدسه في التراب ، إنه يئدها وهو دفنها حية حتى تموت . وقيل : دسها إخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف كالمدسوس في التراب . والظاهر من قوله : ألا ساء ما يحكمون ، رجوعه إلى قوله : ويجعلون البنات الآيات أي : ساء ما يحكمون في نسبتهم إلى ما هو مستكره عندهم ، نافر عنهن طبعهم ، بحيث لا يحتملون نسبتهم إليهن ، ويئدونهن استنكافاً منهن ، وينسبون إليهم الذكر كما قال : { أَلَلَّكُمْ الذَّكْرُ وَلَلَهُ الْأُنثَى } وقال ابن عطية : ومعنى الآية يدبر أيمسك هذه الأنثى على هوان يتجلد له ، أم يئدها فيدفنها حية فهو الدس في التراب ؟ ثم استقبح ما سوء فعلهم وحكمهم بهذا في بناتهم ورزق الجميع على ما انتهى . فعلق ألا ساء ما يحكمون بصنعهم في بناتهم مثل السوء . قيل : مثل بمعنى صفة أي : صفة السوء ، وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكرهة الإناث ، ووأدهن خشية الإملاق وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ . والمثل الأعلى أي : الصفة العليا ، وهي الغنى عن العالمين ، والنزاهة عن سمات المحدثين . وقيل : مثل السوء هو وصفهم ما تعالى بأن له البنات ، وسماه مثل السوء لنسبتهم الولد إلى ما ، وخصوصاً على طريق الأنوثة التي هم يستنكفون منها . وقال ابن عباس : مثل السوء النار . وقال ابن عطية : قالت فرقة مثل بمعنى صفة أي : لهؤلاء صفة السوء ، والمثل الأعلى ، وهذا لا يضطر إليه لأنه خروج عن اللفظ ، بل قوله : مثل ، على بابه وذلك أنهم إذا قالوا : أن البنات فقد جعلوا مثلاً ، فالبنات من البشر وكثرة البنات مكروه عندهم ذميم فهو المثل السوء . والذي أخبر ما تعالى أنهم لهم وليس في البنات فقط ، بل لما جعلوه هم البنات جعله هو لهم على الإطلاق في كل سوء ، ولا غاية أبعد من عذاب النار . وقوله : والمثل الأعلى ، على الإطلاق أي : الكمال المستغنى . وقال قتادة : المثل الأعلى لا إله إلا ما انتهى ، وقول قتادة مروى عن ابن عباس . ولما تقدم قوله : ويجعلون البنات الآيات تقدم ما نسبوا إلى ما ، وأتى

ثانياً ما كان منسوباً لأنفسهم ، وبدأ هنا بقوله : للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ،
وأتى بعد ذلك بما يقابل قوله : سبحانه وتعالى من التنزيه وهو قوله : والمثل الأعلى ،
وهو الوصف المنزه عن سمات الحدوث والتوالد ، وهو الوصف الأعلى الذي ليس يشركه فيه غيره ،
وناسب الختم بالعزيم وهو الذي لا يوجد نظيره ، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها . .
{ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ
دَابَّةٍ وَلَا كَلْبٍ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَوَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا } :